الآداب

AL ADAB 2007
العدد ٣/٤ آذار (مارس) - نيسان (ابريل) ٢٠٠٧ - السنة ٥٥
Al-Adab vol. 55 # 3-4/2007
www.adabmag.com

الرواية العربية وآفاق المستقبل . الحرية الفكرية في منظمة التحرير . سيرة ضيا . نحو جالية عربية-أميركية واحدة

الطائفية
في الوطن العربي (٣)

نحنا مش طائفيّين...
نحنا مع "العيش
المشترك"

نحو جالية عربية ـ أميركية واحدة

اتجاهات الرأي لدى العرب الأميركيين

. ميشيل شحادة * .

بدأتْ هويةُ «العرب الأميركيين» بالتبلور كمشروع سياسي اجتماعي بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧. لم يكن هناك فكر واضح لما تعنيه مقولةُ «العرب الأميركيين» قبل ذلك، وانحصرت المواقفُ بأنماط فردية: بين مَنْ رَغِبَ في الذوبان الكامل في محيطة الأميركي، ومَن انكفأ إلى محيطه العرقي أو الديني. كما لم تتوفّر في ذلك الحين برامجُ سياسية، ومنظماتٌ أو مؤسساتٌ أهليةٌ، أو قدراتٌ مالية، لدى العرب الأميركيين يعتمدون عليها لتنفيذ مشاريعهم. قليلة هي المبادرات الجماعية التي استطاعت الوصولَ إلى قدر من التأثير الثقافي، وبقي هذا التاثيرُ محدودًا في شخصيات مبدعة (كميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران، عضوي «الرابطة القلمية» في نيويورك، وذلك في عشرينات القرن العشرين)، وفي مجموعات سياسية (مثل «المجتمع الفلسطيني المعادي للصهيونية» في نيويورك عام ١٩١٩)، وفي عدة نوادٍ طائفية وقروية ومدنية متفرقة استندتْ غالبًا على الحنين إلى اللغة والطعام والماضي.

تشابهتْ ظروفُ التمييز والعوائق التي واجهها عربُ موجة الهجرة الأولى (١٨٨٠ ـ ١٩٣٠) مع ما واجهتْه الأقلياتُ المهاجرةُ الأخرى، وخصوصًا الإيطالية، التي تمّ اعتبارُها أقليةً «شبهَ بيضاء» وتمّ استثناؤها من المؤسسات الأميركية التي يديرها ويحتكرها الاتجاهُ الأبيضُ السائد. إلاّ أنّ العرب (والإيطاليين) تمكّنوا، بالرغم من ذلك، من استيطان المراكز المدنية والريفية، وتأسيسِ الأعمال التجارية، والعملِ في المصانع، والارتقاءِ في المجالات الفنية، واحتلالِ الوظائف الحكومية في العديد من الأماكن، وتحقيقِ نجاحاتٍ اقتصادية جديرة بالذكر. كما أنّهم اندمجوا في الحياة الاجتماعية مع بعض الشرائح البيضاء، الأمرُ الذي أدّى إلى الزواج المتبادل في كثير من الأحيان. وباختصار، عاش العرب الأميركيون في تلك الآونة في وضعٍ أكثرَ اندماجًا في الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من الجاليات السوداء والآسيوية واللاتينية، بل ومن السكّان الأصليين («الهنود الحمر») أنفسهم.(١)

بدأ المهاجرون الفلسطينيون، تحديدًا، بالوصول إلى الولايات المتحدة الأميركية بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨. وعلى الرغم من تواصلهم مع الوطن الأم، فإنّهم لم يقدِّموا شيئًا يُذْكر لفلسطين على المستوى الأميركي، وتقوقعوا اجتماعيّاً في علاقات عائلية وقروية ودينية كمعظم المهاجرين العرب في ذلك الوقت. وبالمحصّلة، امتنع العرب الأميركيون، عامةً، عن دعم قضاياهم العربية خوفًا من التصادم مع الحركة الصهيونية التي بدأتْ قوتُها تتعاظم.

لكنّ الصدمةَ والإحساسَ بالفجيعة نتيجةً للهزيمة النكراء للجيوش العربية في ستة أيام عام ١٩٦٧، ولاحتلالِ إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وصحراء سيناء، أدّيا إلى ما يُشْبه الصحوةَ. جاء ذلك في وقتٍ شهد فيه النضالُ الجماهيري الأميركي من أجل الحريات المدنية تصاعدًا متزايدًا بقيادة الجالية السوداء (African Americans)، التي كانت وما تزال في أسفل السلّم الاجتماعي الاقتصادي. وقد أسهمتْ هذه الحركة في إشاعة جوّ من التعايش بين الأعراق المختلفة، وفي بداية صياغة فكرة «المجتمع الفسيفسائي،» وإنْ لم تحظَ بالترحيب الكبير من الأغلبية البيضاء. وحقّق المهاجرون مكاسبَ

---

* ـ كاتب / ناشط عربي في الولايات المتحدة.

١ ـ Louise Cainkar, "The Social Construction of Difference and the Arab American Experience," **Journal of American Ethnic History**, Spring 2006.

لا اهتمام للمتقوقعين العرب في أميركا سوى العمل على اكتساب لقمة العيش.

قانونيةً جديرةً بالذكر، مثل قانون الهجرة الأميركي الجديد عام ١٩٦٥ الذي انتزع حقوقًا أكثر للمهاجرين الجدد. وقد دفعتْ هذه الأجواءُ العربَ الأميركيين إلى التخلُّص من خوفهم وترددهم، وإلى ركوب تلك الموجة الجارفة من أجل ابتكار هوية خاصة بهم في ذلك المجتمع الفسيفسائي.(١)

ولكنْ على الرغم من هذا الانفتاح الاجتماعي الذي صاحب انطلاقاتِ العرب الأميركيين الأولى، فإنّ موجاتٍ وعواملَ معاكسةً بدأتْ أيضًا في التشكُّل، ومنها:

١ ـ تصاعدُ الشعور الأميركي المعادي للعرب، ولاسيَّما بعد حرب ١٩٧٣ وحظْرِ النفط العربي عن الولايات المتحدة، وهو ما أَسْهم في حدوث أزمة كبيرة للمواطن الأميركي الذي اعتاد وفرةَ النفط العربي بأسعارٍ زهيدة. ثم تضاعف هذا الشعورُ بعد أن رَفعتْ «أوبيك» أسعارَ النفط.

٢ ـ عدمُ اعتراف حكومة الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وتقديمُ «إسرائيل» البرهانَ على قدرتها العسكرية الرادعة للنزعة التحرُّرية العربية التي تعاديها الولاياتُ المتحدةُ.

كما شهدتْ هذه الفترة أيضًا بدايةَ تطور في نظرة الولايات المتحدة إلى الدور الإسرائيلي ضمن استراتيجيتها العالمية، في الوقت الذي حصل فيه تطورٌ كذلك في نظرة إسرائيل إلى دورها الإقليمي والعالمي ضمن تلك الإستراتيجية، خصوصًا بعد التخلص من «الشوائب الاشتراكية» التي صاحبتْ بداياتِ تأسيس إسرائيل كمشروع استيطاني أوروبي في المحيط العربي. وتزامن ذلك مع تصاعد قوة اللوبي الصهيوني في المجتمع الأميركي، وبدايةِ ارتباطه عضويًا بالشرائح الحاكمة الأميركية.

تداعت الأمورُ سلبًا على العرب الأميركيين، وامتدّ التمييزُ العنصري ضدَّهم ليَشْمل المجالاتِ الثقافيةَ والعلميةَ والفنيةَ والسياسية. وشُنّتْ حملةٌ شاملةٌ على كلِّ ما هو عربي، وبخاصّةٍ في السينما والمنوَّعات الغنائية والتلفزيون والأكاديميا. فتمّ اختراعُ شخصية «العربي» الذي يقف مواجهًا «للقيم» الأميركية الغربية بسبب تركيبته السيكولوجية الاجتماعية، وتراثِه الديني، وثقافتِه الشعبية «البربرية.» ففي بحثٍ نُشِرَ في كتاب للبروفسور العربي الأميركي جاك شاهين، وَرَدَ أنّ هوليوود مَثّلت العربَ دائمًا بوصفهم أشرارًا، من دون أن توازيهم شخصياتٌ عربيةٌ إيجابيةٌ، وذلك في أكثر من ٩٠٠ فيلم طويل، «أيْ في غالبية الأفلام التي تحتوي أدوارًا عربية.»(٢)

في أوائل الثمانينيات، حصلتْ حادثةُ «أبسكام،» وهي اختصارٌ للأحرف الأولى بالإنجليزية لما معناه «العربي القميء.» فقد تنكّرتْ مجموعةٌ من جواسيس الـ «أف بي آيْ» (FBI) بزيّ شيوخ عرب عملوا على رشوة سياسيين أميركيين بشكلٍ مقيت. وقد أثارت هذه الحادثة ضجةً إعلاميةً سلبية نالت من الجالية العربية برمّتها، إذ قَدّمت الشخصيةَ العربيةَ بصفتها شخصيةً دميمةً فاسقةً تحاول إفسادَ المجتمع الأميركي ومؤسساته السياسية «النظيفة» بشراء الذمم والرشوة بالأموال النفطية. وقد صرّح مؤسِّسو «اللجنة الأميركية العربية لمكافحة التمييز العنصري» (ADC)، التي تُعتبر كُبرى المؤسسات العربية الأميركية، أنّ حادثة «أبسكام» كانت سببًا مباشرًا وراء تأسيسهم اللجنةَ المذكورة.(٣)

١ ـ **Not Quite White: Race Classification and the Arab American, Experience Immigration Policy and Race: The Gatekeeper's Dilemma** (AAI Foundation), http://www.aaiusa.org/foundation/355/not-quite-white

٢ ـ Jack G. Shaheen, **Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People** (Olive Branch Press, 2001), p. 13.

٣ ـ Human Rights Watch Publication, **A History Of Backlash Attacks Against Arabs and Muslims in America.** http://www.hrw.org/reports/2002/usahate/usa1102-03.htm

لن نستطيع هنا تعدادَ الأحداث والقضايا التي شَوّهتْ صورةَ العرب الأميركيين، ولا ذِكْرَ كلِّ الظروف القمعية والجرائم التي تعرّض لها أبناءُ الجالية. لكنّنا سنكتفي بمثاليْن: جريمة قتل أليكس عودة على يد «عصبة الدفاع اليهودية» (JDL) العنصرية عام ١٩٨٥؛ وقضية «ثمانية لوس أنجلوس» (LA8) حين تمّ القبضُ على طلاّب فلسطينين بتهمة الإرهاب وجرت محاولةُ تسفيرهم بشكلٍ تعسفيّ لا لشيءٍ سوى دعمهم، وبأسلوب سياسي يحميه الدستورُ الأميركي نفسُه، للحقّ الفسطيني في الحرية والاستقلال.(١)

كانت «الرابطة العربية الأميركية لخرّيجي الجامعات» (AAUG) أولَ منظمة عربية أميركية تأسستْ عام ١٩٦٨، وعُرفتْ بوصفها مشروعًا سياسيّاً للدفاع عن مصالح العرب الأميركيين. وقد انضمّ إليها الناشطون من خرّيجي الجامعات وحقولٍ أخرى بقيادة الأكاديميين من العرب الأميركيين (أمثال: إدوارد سعيد، وإبراهيم أبو لغد، وهشام شرابي، ونصير عاروري، وسميح فرسون، وغيرهم). وشكّل هؤلاء القياداتِ الأولى لهذا «الكيان» الناشئ باعتباره الحاضنةَ لمشروع هويةٍ جديدةٍ للجالية العربية في أميركا: العرب الأميركيون.

شكّلت التركيبةُ الداخلية للرابطة المذكورة خليطًا من التيارات السياسية والإيديولوجية. وظهرتْ، منذ البدء، نزعتان في خضمّ الصراع من أجل التصدّي للاستحقاقات الصعبة التي كانت تواجهها الجاليةُ العربية، هما:

١ ـ النزعة التقوقعية (Isolationist): وهي التي رأت في الوجود العربي في أميركا وجودًا آنيّاً، ليست له اهتماماتٌ تجاه المجتمع الأميركي سوى العمل على اكتساب لقمة العيش. أمّا سياسيّاً، فاعتَبَرتْ أنّ الجالية العربية تعيش في المهجر بشكل مؤقّت وترتبط بالقوى العربية التحررية في العالم العربي، ولذا كانت تُسخِّر معظمَ طاقاتها في هذا الاتجاه. وكانت القوى الفلسطينية، التي شكّلتْ عمادَ معظم التنظيمات العربية الأميركية، رأسَ حربة هذا التوجُّه، فتقوقعتْ في القضية الوطنية الفلسطينية، وانهمكتْ في التنافسات والصراع على السلطة السياسية داخل المؤسّسات (كمنظمة الطلبة العرب، والاتّحاد العامّ لطلبة فلسطين...). ولم تقتصر هذه النزعة على الفلسطينيين وحدهم، بل شملتْ غالبيةَ الناشطين من العرب الأميركيين الذين كان جلُّ اهتمامهم منصبّاً على التحرُّر الوطني الديموقراطي في أوطانهم العربية. أما ثقافيّاً وحضاريّاً، فقد حَدَّد «المتقوقعون» عاداتهم وتقاليدَهم بأنّها متناقضةٌ جذريّاً مع نظيراتها الأميركية: فإما الانعزالُ لحماية النفس، وإمّا «الانصهارُ» في المجتمع الأميركي ـ وهذا مرفوضٌ تمامًا.

وهكذا، لم تولِ هذه النزعةُ اهتمامًا للسياسة الأميركية الداخلية أو الصراعات الاجتماعية المحلّية إلاّ في أضيق المجالات، من قبيل المشاركة في برامج القوى اليسارية التي تَدْعم حركاتِ التحرُّر العربية، من منطلق أنّ هزيمة الرأسمالية يبدأ من هزيمة مشروعها الإمبريالي في العالم النامي. وكانت فلسطين العنوانَ الأبرزَ في هذا الميدان، الأمرُ الذي شكّل مجالاً محدودًا لشيء من الانفتاح العربي الهامشي على بعض تلك القوى.

نَظَرت القوى المتقوقعةُ بشكلٍ عدائي إلى مدّعي الانخراط في السياسة الأميركية، ورأت أنّ من الأفضل تسخيرَ الطاقات لقضايا الأوطان العربية التي تحتاج كُلَّ الجهود بشكل سريع وملحّ. ولا يعني ذلك أنّ بعض تلك «القيادات» لم تعملْ

١ ـ لا تزال القضية مستمرة حتى الآن وبعد عشرين عامًا من فشل الحكومة الأميركية في تقديم أيِّ دليلٍ على أنّ أولئك الشبان ارتكبوا خطأً يُذْكر. راجع:
"The Los Angeles Eight Case (About Us)," http://www.committee4justice.com/index.php

يصنِّف التذويبيون العرب أنفسهم جزءاً من التركيبة الاجتماعية البيضاء في أميركا.

على المستوى السياسي الأميركي، ولكنّ عملها هذا انحصر بما يَخْدم برامجَ الأنظمة العربية في اندفاعها إلى بناءِ علاقاتٍ مع الإدارات الأميركية المتعاقبة؛ تمامًا كما فعلتْ منظمةُ التحرير حيال شخصياتٍ عربية أميركية (فمثلاً، قام إدوارد سعيد بترجمة خطاب عرفات في الأمم المتحدة عام ١٩٧٤؛ وعَيّن عرفات إبراهيم أبو لغد عضوًا في بعثة منظمة التحرير إلى الأمم المتحدة عام ١٩٧٥؛ وعُيِّن الكاتبُ العربي الأميركي فوّاز تركي مديرًا لمكتب الكتابة والأبحاث في الكونغرس الفلسطيني لشمال أميركا).[١]

يُستثنى من المتقوقعين أولئك الذين يمكثون في أميركا لأسباب سياسية وأمنية. ويُعتبر هؤلاء مبعَدين سياسين، أو طلاّبًا مؤقتين، يتواصلون مع المجال السياسي العربي بهدف مكافحة الاستبداد الذي تعانيه أوطانُهم بأمل الرجوع إليها.

٢ ـ النزعة التذويبية (Assimilationist): وهي التي تروِّج لتذويب العرب الأميركيين في المجتمع الأميركي (الأبيض في منظورهم!) إذا أرادوا النجاحَ سياسيّاً. ويدعو التذويبيون، تحديدًا، العربَ إلى الدخول إلى المعترك السياسي من أوسع أبوابه، أي الانخراط في الحزبيْن الأميركييْن السائديْن، الديموقراطي والجمهوري. وذلك يعني الابتعادَ عن كلِّ ما يمكن أن يُفسَّر على أنّه توجُّه يساري أو راديكالي معادٍ لأميركا. ويتمّ ذلك من خلال السعي الدؤوب إلى إثبات الولاء السياسي لأميركا، والتأكيد أنّ الجالية العربية «أميركيةٌ قبل أن تكون عربية.» بذلك فقط، تستطيع الجالية، بحسب زعم التذويبيين، أن تَخْدم مصالحَها، خصوصًا في ما يتعلّق بتعديل السياسة الأميركية الخارجية وجعلِها أكثرَ «توازنًا» في تعاملها مع العرب، ومع القضية الفلسطينية تحديدًا.

وحين رأى أصحابُ هذه النزعة أنّه لا يمكن استيعابُهم في المجتمع الأميركي بالشكل الذي يرغبون فيه من دون أن يتمّ حلُّ القضية الفلسطينية، سارعوا إلى تأييد أيّ مسار لـ «حلّ» القضية الفلسطينية: فتحمّسوا لاتفاق أوسلو، ولخارطة الطريق، ولكلّ مشروعٍ أميركي في هذا المجال.

وقد تبنّى هذا التوجُّهَ أحفادُ مُهاجري الموجات المبكّرة، وعبّروا عن أنفسهم بالافتخار بأمريكيتهم وتكلُّمِهم باللغة الإنجليزية من دون لكنةٍ عربية (وغالبًا بشكلٍ مُبالغ فيه). ويشوب هؤلاء بعضُ التوجُّس، بل الامتعاضُ المستتر، من المهاجرين الجدد، ويَنْسبون إليهم سببَ تفجُّر العنصرية الأميركية ضدّ العرب في أميركا لما يتميّزون به من مظهرٍ ولكنةٍ وعاداتٍ وثيابٍ عربية. ويصنِّف التذويبيون أنفسَهم جزءًا من التركيبة الاجتماعية البيضاء في أميركا، بكلّ ما يعني هذا من انتماء ثقافي وحضاري وسياسي. ولئن كانت هذه الشريحةُ غيرَ متجانسة، فإنّ اختلافاتها تتراوح ضمن طيف الطرح السياسي الرسمي الأميركي، بقطبيْه الديموقراطي والجمهوري. وينضمّ إلى هؤلاء مجموعةٌ من المهاجرين الجدد من رجال الأعمال والأغنياء والمحترفين الذين وصلوا إلى مواقع مرموقة في نظام الشركات الأميركي، وثلةٌ من المثقفين المرتبطين بهم، وينطلقون جميعُهم من موقع الارتباط المصلحي الكامل مع الشرائح الأميركية الحاكمة.

الطريف أنّ هذه النزعة تلتقي مع نقيضتها في الاعتراف الضمني بأنّ التقاليد والعادات العربية لا تتناسب مع المجتمع الأميركي. ولكنّها تختلف عنها بالحلّ: ولذلك تدعو إلى خلعِ كُلِّ ما هو عربي، وإلى لبسِ ما هو أميركي. ففي عام ١٩٨٥، وَصَفَ أحدُ مسؤولي «الرابطة القومية للعرب الأميركيين» (NAAA) منظمتَهم بأنّها تجسِّد

١ ـ Yossi Shain, "Arab Americans at a Crossroads," **Journal of Palestine Studies**, Spring 1996, p. 50.

مشاعرَ أبناء الجالية العربية الأميركية الذين يَعْتبرون أنفسَهم «أميركيين أولاً وآخرًا، دائمًا وأبدًا.» وأضاف «أنّ أسلوبهم في الضغط السياسي ينطلق من موقع تحديد المصلحة القومية الأميركية في الشرق الأوسط، ودفع هذه المصلحة من خلال الضغطَ السياسي والإرشاد العامّ.»(١)

مع مرور الزمن، ابتدأ الخلافُ بين التياريْن بالتبلور. فكان أن انفصل «التذويبيون» عن «المتقوقعين» في منظماتٍ خاصةٍ بهم ـ كـ «الرابطة القومية للعرب الأميركيين» (NAAA) عام ١٩٧٢، و«اللجنة الأميركية العربية لمكافحة التمييز العنصري» (ADC) عام ١٩٨٠، و«المعهد العربي الأميركي» (AAI) عام ١٩٨٥. والسبب في ذلك أنّ التذويبيين لم يتفقوا فيما بينهم على الأولويات:

ـ فـ NAAA رأت أنّه يجب التركيزُ على إيجاد لوبي عربي من أجل «تكوين وتنفيذ أجندةٍ موضوعيةٍ للسياسات الأميركية في الشرق الأوسط.» وهكذا ركّزتْ في برامجها على رفض الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وإيقافِ الدعم المالي لإسرائيل من أجل وقف عملية الاستيطان الإسرائيلية غير الشرعية، وفرض سريان مفعول القوانين المتعلّقة بتَصدير الأسلحة الأميركية على إسرائيل، ودعم تأسيس دولة فلسطينية مستقلة في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، والاعترافِ بمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان أسلوبها ضغطًا سياسيّاً مباشرًا على الحكومة الأميركية.

ـ أمّا ADC فأكّدتْ «أمريكيّتَها أولاً» من خلال وضع «الأميركي» قبل «العربي» في اسمها. وصاغت أولويةَ برنامجها بحيث لا يرتكز على السياسة الخارجية بل على تنظيم الجالية العربية الأميركية لمكافحة التمييز في وسائل الإعلام وأدوات الثقافة الشعبية كالأفلام. أما أسلوبها فكان تنظيمًا قاعديّاً في فروع داخل مناطقِ تجمُّعِ الجالية العربية الأميركية.

ـ أما AAI فوَضَعتْ أولويّاتها في المساعدة على إدخال العرب الأميركيين في الحزبيْن الديموقراطي والجمهوري، ودعمِ مَنْ يريد أن يرشِّح نفسَه منهم إلى مواقع حكومية.

امتازت العلاقةُ بين هذه المنظمات بالسلبية والمنافسة والصِّدام العلني والمستتر. ومع مرور الزمن، أَغلقتْ NAAA أبوابَها، واستمرّت المنظمتان الأُخريان بفضل النجدة المالية السعودية. والأمر الباعث على السخرية أنّ هذا التيار لم يستطع أن يضمّ حوله «المستوعَبين» في المجتمع الأميركي، الذين تجنَّبوه لأنّهم انصهروا وأصبحت القضايا العربيةُ الأميركيةُ لا تخصّهم. فاضطرّ أعضاءُ التيار التذويبي إلى الاعتماد على الأعداد القليلة من المهاجرين الجدد الذين استهوتهم فكرةُ «الذوبان» في بوتقة الأنجلوساكسونية. ولمّا لم يتحقّق ذلك حتى اللحظة (أيْ أن يصبحوا «بيضًا» لأنّ ذلك غيرُ مسموح لهم أصلاً)، فقد راحوا يَنْشطون لاستجداء الإذن المطلوب. ولأنّ أعدادهم غيرُ كافيةٍ لمساندة المنظمات الساعية إلى إقناع النخب الأميركية الحاكمة بالقبول بهم طرفًا ولو صغيرًا، فقد انكفأوا إلى الأنظمة العربية لتمويلهم. وقد رَحَّبتْ هذه الأنظمةُ بمدّ يد العون إليهم ضمن معادلةٍ مدروسةٍ من تقاطع المصالح: فالأنظمة المذكورة معنية بإقصاء الجالية العربية الأميركية عن الالتفاف حول قضايا التحرُّر السياسي الديموقراطي لأنّه ينال تلك الأنظمة بالأذى، في حين أنّ إذابة الجالية المذكورة في بوتقة الساكسونية يُبْعدها عن مواجهة تلك الأنظمة المستبدّة.

وباختصار، فإنّ مرجعية النخب السياسية القيادية العربية الأميركية لا تنبع من واقعها الاجتماعي، ولا من محيطها السياسي والجماهيري العربي الأميركي، بل من المشرق العربي. وهذا

١ ـ Ibid., p. 52.

لدى الاندماجيين العرب الأميركيين، لا تعارض بين أن تكون عربياً ومواطناً أميركياً.

أدّى إلى عزلتها عن قوى التغيير في السياسة الأميركية المؤثّرة في القضايا العربية بشكل مباشر، وعزلتها في الوقت نفسه عن القواعد الجماهيرية التي كانت قد أيّدتها في بداية الأمر ثم هجرتها عندما اكتشفتْ ضعفَ قدراتها على التغيير.

يتميّز التذويبيون أيضًا في أنّهم يقدّمون باستمرار أعذارًا لسياسات الولايات المتحدة المعادية للعالم العربي، مدّعين أنّ تلك السياسات هي من صنع اللوبي الصهيوني الذي «يورّط» أميركا بقضايا لا مصلحة لها بها. ولهذا فإنّ تغيير تلك السياسات، في زعمهم، يكون بتوعية النخبة الحاكمة لتكتشفَ مدى انخداعها بمسايرة اللوبي الصهيوني، وجدوى الاتجاه إلى العرب الأميركيين «الصالحين» للمصالح الأميركية الحيوية.

ويقوم التذويبيون بالمتاجرة بمقولة إنّ ما يحتاجونه لهزيمة اللوبي الصهيوني والتأثير في الحكومة الأميركية إنّما هو المالُ الكافي. وتعمد بعضُ الأنظمة العربية إلى تقديم الأموال لهؤلاء، إما اقتناعًا أو لرفع العتب أو لأهداف أخرى. أما أبناءُ الجالية العربية فكثيرون منهم يصدّقون هذا الطرح، ويتبرّعون بالمال والجهد، أملاً في تحقيق هزيمة الصهيونية المرجوّ. ولكنّ خيبة الأمل كانت دائمًا تنتظرهم: ذلك لأنّ تشخيص طبيعة اللوبي الصهيوني وعلاقته بالنظام السياسي الأميركي كان خطأً منذ البداية.

٣ ـ النزعة الاندماجية (Integrationist). في هذه الأثناء، كان هناك تيار ثالث، «اندماجي»، في طور النشوء. وقد تمثّل في ناشطين عرب أتوا إلى أميركا بقصد العلم، ولكنّ الأوضاع الصعبة في العالم العربي اضطرّتْ غالبيتَهم إلى الاستقرار، والحصول على الجنسية الأميركية، واعتبار أميركا وطنًا لهم. ومع مرور الزمن، باشروا بهجران «قوقعتهم» باتجاه الصف «الاندماجي» الجديد، في حركةٍ اجتماعيةٍ تُمليها ضروراتُ حياتهم السياسية.

كانت بداياتُ هذا التوجُّه أثناء الغزو الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢، والذي أثار حملةً ضدّ «إسرائيل» لم تَشْهد لها الساحةُ العربيةُ الأميركية مثيلاً. وسبب ذلك يعود إلى وجود جالية لبنانية قديمة ومستقرّة وناجحة في المجتمع الأميركي، وإلى سمعةِ لبنان الإيجابية باعتباره قريبًا من الغرب (بيروت: «باريس» العالم العربي). ولمّا لم يكن لبنان، خلافًا لفلسطين، قضيةً وجوديةً بالنسبة إلى إسرائيل، فقد اتيح هامشٌ أمام النشطاء لتطوير مستوى الفاعلية. وقد ابتدأ نشطاءُ الطلبة بمخاطبة المجتمع الأميركي العريض، والعملِ على فهم الأساليب التي تمنحهم القدرةَ على بناء جبهاتٍ جماهيريةٍ أميركية عريضة ضدّ الهجمة الإسرائيلية: فاتصلوا بالكنائس ومؤسسات الحريات المدنية والإنسانية، وخاطبوا الإنسان العادي بلغةٍ سياسيةٍ يفهمها ويتفاعل معها. وهذا ما وَضَعَهم في مواجهةٍ مباشرةٍ مع الصيغ والعادات واللغات السياسية التقليدية السائدة.

إذن، بدأ الاندماجيون يكتشفون أنّ الهياكل الفكرية القديمة، وأساليبَ التعامل مع المجتمع الأميركي، لا ترتقي إلى مستوى المسؤولية والتحدّي الماثل أمامهم. فباشروا بإنتاج أساليب جديدة تَنْبع من واقعهم، وذلك بدمج مكوّناتهم النفسية العربية مع ما تعلّموه من حياتهم الجامعية. كانوا يشعرون بالراحة لأنّهم يعيشون في عالمين، عربي وأميركي، في آن واحد: فهم يتكلّمون ويتابعون الفكرَ والمقولاتِ العربيةَ والغربية في الوقت نفسه؛ وهم يتعاملون مع التراث والعادات والتقاليد الإيجابية العربية ويربّون أبناءهم بموجبها، ويستوعبون في الوقت ذاته ما يقدّمه المجتمعُ الأميركي التعددي. فتكوّنتْ لديهم مفاهيمُ جديدةٌ بدأتْ تتفاعل داخل الجالية لتشكيل هوية عربية أميركية متقدّمة عن سابقاتها، لا تعارُضَ فيها بين أن تكون عربيّاً ومواطنًا أميركيّاً في الوقت عينه: فكونُكَ أميركيّاً يعني قبولَكَ بالمبادئ الواردة في الدستور ووثيقةِ

الاستقلال الأميركيّين؛ أما كونُكَ عربيّاً فهو هويةٌ ثقافية، وجدانية، عرقية، محْمية بالدستور الأميركي، وإثراءٌ للتعددية الأميركية الفسيفسائية.

انخرط الاندماجيون في الحوار الدائر في المجتمع الأميركي بشكل عامّ. وقد ساعد في ذلك بروزُ حركةٍ أكاديميةٍ واسعة حضنتْ ذلك الحوارَ، وتمحورتْ حول «دراسات الهوية» (identity studies) والدراسات العرقية (ethnic studies) في الجامعات. وساعدتْ تلك الحركةُ هذا الجيلَ العربيَّ الأميركي على امتلاك هذه القضايا بشكل علمي، وضمن سياق اجتماعي وتاريخي وممارسة ميدانية. من هنا نَشْهد إنجازاتٍ من قبيل تأسيس أقسام متخصِّصة في الدراسات العربية الأميركية، مثل «مركز الدراسات العربية الأميركية» في جامعة ميشيغان (ديربورن) الذي أنشأتْه وتَرْأسه د. رباب عبد الهادي. وقد أدَّت أحداثُ ١١ سبتمبر، واحتلالُ أفغانستان والعراق، والمقاومةُ ضدّ الاحتلاليْن، إلى ارتفاعٍ عالٍ في الاهتمام الأميركي العامّ بالعالم العربي والإسلامي.

تتلخّص أفكارُ «الاندماجيين» في أطروحات تصنِّف الجاليةَ العربيةَ بأنّها عربيةٌ تَحْمل الجنسيةَ الأميركيةَ في مجتمعٍ تعدُّدي، ذي أعراقٍ مهاجرةٍ غنيةِ التنوع. وهي ترى أنّ النظام السياسي الأميركي القومي لا يعتمد على العنصر العرقي، بل على مجموعة من المبادئ الحية التي يتضمّنُها الدستورُ ووثيقةُ الاستقلال. ويرى التوجُّه الاندماجي أنّ تعامل العرب الأميركيين مع المجتمع الأميركي لا يكون بالتقوقع ولا بالذوبان والتلاشي، بل بالاندماج بشكل طبيعي وحرّ في العمل الاجتماعي، بكلّ ما يعنيه ذلك من خلقٍ لهويةٍ عربية تُغْني المجتمعَ الفسيفسائي الأميركي، وتشارك مشاركةً كاملةً في إيصال التجربة الأميركية إلى شواطئ الحريات المدنية والإنسانية والمساواة أمام القانون.

ويشدِّد «الاندماجيون» على استحالة الفصل بين مصالح الجالية العربية في أميركا، ومصالح الشعوب العربية، مصدرِ كينونتها. وهذا ما وضع الاندماجيين في مواجهة «الانصهاريين» المنضوين - بوعي أو بدون وعي - تحت لواء النظرة العنصرية البيضاء التي ترى في أميركا انعكاسًا لهويةٍ واحدةٍ منسجمةٍ ثقافياً وعنصرياً وتاريخياً.

اشتدّت حدةُ التناقض بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وارتكز الصراعُ على محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية: هل نحن مع الإدارة الأميركية في حربها على «الإرهاب»؟ وهل يجب على الجالية العربية أن تُثْبت ولاءها لأميركا في كلّ مناسبةٍ كبيرةٍ أو صغيرة؟ أمْ أنّها جزء شرعي وعضوي من المجتمع الأميركي وتتمتّع بكلّ الحقوق التي يَضْمنها الدستورُ للمواطن الأميركي، بما فيها حقُّ المعارضة؟ فـ «الانصهاريون» توصّلوا إلى أنّ الطريقة المثلى هي تأييدُ سياسة الإدارة الأميركية تمامًا، بل وتسويقُها في أوساط الجالية العربية والعالم العربي. وأما التيار الاندماجي فعبّر عن نفسه بمساءلة القادة التقليديين في المؤسسات العربية الأميركية، ومطالبتِهم ببناء مؤسسات شرعية تعتمد على الانتخاب والديموقراطية لا على التعيين والعلاقات الانتهازية بالنظام الرسمي العربي. غير أنّ المؤسسة العربية الأميركية الرسمية اتّهمت الاندماجيين بالراديكالية، والتخريب، والهامشية، وغيرِ ذلك من الأوصاف. فقد انبرى رئيس ADC آنذاك، د. زياد عسلي، مهاجمًا معارضيه من فروع اللجنة القاعدية بقوله: «إنّ أهدافنا الواضحة للتأثير في القرار القومي الأميركي لا تلاقي استحسانًا عند أصحاب الفكر الثوري والخطاب التعبان الذي لم يَجْلب لنا سوى التعاسة والهزيمة.» وأضاف هازئًا: «لم تكن [ADC] مؤثّرة ... ولم تكن في أيّ وقتٍ مُهَاجَمةً من أقليةٍ هامشيةٍ إيديولوجيةٍ كما هي الآن.»(١)

١ - AL-Ahram Weekly, 22-28 August 2002, issue 600.

معظم أعضاء الكونغرس من العرب الأميركيين صوّتوا إلى جانب دعم العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان.

وتصدّى الاندماجيون للانصهاريين بحميّة متبادلة، فحدّدوا أنّ للجالية العربية الأميركية دورًا هامّاً وضرورياً في هذا الوقت: إنّه بناءُ جسرٍ للتفاهم مع المجتمع الأميركي، وشرحُ شكاوى العالم العربي من السياسة الخارجية الأميركية، ودعوةُ الجالية إلى الوقوف في الخندق المناهض لمسوّقي الحروب الباغية. وأضاف الاندماجيون القولَ إنّه لمّا كان العنصرُ العربي مُعرَضًا بشكلٍ مباشرٍ للقمع والشبهة، فعلى الجالية العربية أن تكون في مقدّمة المدافعين عن الحريات المدنية والدستورية الأميركية المعرَّضة للخطر.

عندما وجد أصحابُ التوجُّه اليميني في ADC أنّ القواعد تَرْفض توجُّهَهم، تَرَكوا اللجنةَ وقاموا بتأسيس «المجموعة الأميركية الوظيفية لفلسطين» (American Taskforce on Palestine) المرتبطة بوزارة الخارجية الأميركية. ونظرةٌ إلى لائحة «ضيوف الشرف» المتكلّمين في حفلها السنوي الأول في ٢٠٠٦/١٠/١١، وهم وزيرةُ الخارجية الأميركية كوندوليسا رايس، والأمير تركي الفيصل، السفيرُ السعودي في أميركا في حينه، والسناتورالأميركي الصهيوني كارل لڤين، والسناتور العربي الأميركي الجمهوري جون سنونو (الذي صَوَّتَ لصالح العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان)، تدلّ على سياسة المجموعة الجديدة.[١]

أما الذين يُضْرب بهم المثلُ من المنصهرين لأنّهم نجحوا في الوصول إلى مراكز عليا في النظام الأميركي، فهم خيبة أمل كبيرة. وأوضح دليل على ذلك أنّ معظم أعضاء الكونغرس من العرب الأميركيين صَوّتوا إلى جانب قرار دعم العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان، وهم من أصل لبناني. وعَبَّر عن تلك العقلية النائب ديرل عيسى بعد التصويت المشين إذ قال: «إنّي أدعم حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها!»[٢]

وختامًا، لا بدّ من طرح تصوّرنا الذي يقول بأنّ المستقبل العربي الأميركي هو مع «الاندماجيين.» فإذا كان لا بدّ من أن تكون هناك جاليةٌ عربيةٌ أميركية، فلا بدّ أن تكون هذه الجالية من امتزاج شطرَي الهوية: العربي والأميركي. وحتى الآن، لا يزال الاندماجيون في طور التكوّن، وهم غيرُ متجانسين في كيفية تحقيق أفكارهم وتجسيد رؤيتهم. وإلى أن ينجحوا في نشر آرائهم وبناء مؤسساتهم وبلورة رؤيةٍ واضحةٍ تتمثّل في قوةٍ سياسيةٍ منظمة تصبح بديلاً ناجحًا عن واقع الحال الهزيل، فإنّ الجالية العربية الأميركية ستبقى مشروعًا قيد التحقيق.

كاليفورنيا

١ - "Inaugural Gala," http://www.americantaskforce.org/activities/index.php

٢ - "House Passes Pro-Israel Resolution," CBS NEWS, http://www.cbsnews.com/stories/2006/07/20/politics/main1820193.shtml